لم يكن الإسلام دين مساواة ؟

في أحاديثنا اليومية لا نتورع أن نقول : (إن دين الإسلام دين مساواة) ، مفتخرين به ؛ ومنافحين عنه حين يَسِمُهُ بعضُ الناس بما يوحي بأنه دين لا يعدل بين أفراد المجتمع المسلم ، ونحن عندما نقول بهذا القول نقوله من حرصنا على نقاء الإسلام من كل ما يشعر بنقصهٍ .

ونحن أيضا نقول بهذا القول بحسن نية وعقيدة صادقة ولكننا نخطئ من حيث أردنا الصواب ناسين أن مفردات اللغة العربية تُغيِّرُ معاني الألفاظ ودلالاتها فيقع المتكلم أحيانا في أخطاء يعتقد صحتها.

وشيخنا العلامة محمد صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى يقول في هذا السياق : أحب أنٍ أنبه هنا على كلمة يطلقها بعض الناس، قد يريدون لها خيرا، وقد يطلقها بعض الناس يريدون بها شرا ، وهي قولهم :(إنَّ الدِّين الإسلامي دين المساواة) .

فهذا كذب على الدين الإسلامي لأن الدين الإسلامي ليس دين مساواة الدين الإسلامي (دين عدل) وهو إعطاء كل شخص ما يستحق فإذا استوى شخصان في الأحقية فحينئذٍ يتساويان فيما يترتب على هذه الأحقية أما مع الاختلاف فلا ولا يمكن أن يطلق على أن الدين الإسلامي دين مساواة أبدا بل إنه دين العدل لقول الله تعالى:(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِيْ القُرْبَىٰ)[1] .

هذه العبارة: الدين الإسلامي دين المساواة قد يطلقها بعض الناس ويريد بها شرا فمثلا يقول: لا فرق بين الذكر

---

(١) سورة النحل ، آية ٩٠ .

والأنثى الدين دين مساواة الأنثى أعطوها من الحقوق مثل ما تعطون الرجل .

لماذا لأن الدين الإسلامي دين المساواة الاشتراكيونٍ يقولون: الدين دين مساواة لا يمكن هذا غني جدا وهذا فقير جدا لابد أن نأخذ من مال الغني ونعطي الفقير لأن الدين دين المساواةٍ فيريدون بهذه الكلمة شرا ولما كانت هذه الكلمة قد يُراد بها خيرا وقد يراد بها شرا لم يوصف الدين الإسلامي بها ، بل يوصف بأنه دين العدل الذي أمر الله به.

ما قال: بالمساواة ولا يمكن أن يتساوى اثنان أحدهما أعمى والثاني بصير أحدهما عالم والثاني جاهل أحدهما نافع للخلق والثاني شرير لا يمكن أن يستوون .

لهذا أحببت التنبيه عليها لأن كثيراً من الكتاب العصريين أو غيرهم يطلق هذه الكلمة ولكنه لا يتفطن لمعناها ولا يتفطن أن الدين الإسلامي لا يمكن أن يأتي بالمساواة من كل وجهٍ مع الاختلاف أبدا لو أنه حكم بالمساواة مع وجود الفارق لكانٍ دينا غير مستقيم فعلى المسلم ألا يسوي بين اثنين بينهما تضاد أبدا لكن إذا استويا من كل وجه صار العدل أن يعطي كل واحد منهما ما يعطي الآخر ، وعلى كل حال فهذهِ الكلمة ينبغي لطالب العلم أن يتفطن لها وأن يتفطن لغيرها أيضا من الكلمات التي يطلقها بعض الناس وهو لا يعلم معناها ولا يعلم مغزاها[1] .

انتهى كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله وبقي أن تقول : إن كثيرا من الناس ينساق خلف غيره في استعمال بعض ألفاظ اللغة العربية التي يخفى عليه معناها الحقيقي ؛ ومن الأفضل التدقيق في كل ما نسمع خاصة إن كان الكلام يتعلق بديننا أو بأخلاقياتنا ومبادئنا .

---

(١) شرح رياض الصالحين " كتاب الجهاد " آيات الباب .